جامعـــة الأزهـــر
كليــة أصـــول الدين
والدعوة الإسلامية
بطنطـــا

# الجانب العقدي
# في
# تفسير ابن عطيه

تأليف
دكتور / ابراهيم عبد الله حسن الحصري
مدرس العقيدة والفلسفة

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

**مقدمة :**

الحمد لله الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أول المسلمين ورحمة الله للعالمين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

أما بعد ..

فسنتناول بمشيئة الله عز وجل فى هذا البحث :

« الجانب العقدى فى تفسير إبن عطية »

معتمدين على إبراز آرائه الكلامية راجين راجين الله عز وجل أن يوفقنا إلى مايحب ويرضى وأن لا يخيب فيه رجاء نا . . . . . .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

## التعريف بإبن عطية

هو : عبد الحق ابن غالب ابن عبد الرحمن ابن غالب ابن عبد الرؤف تمام ابن عبدالله ابن تمام ابن عطية ابن خالد ابن عطية المحاربى .

من أهل غرناطة ، ولد سنة ( ٤٨١ هـ ) [1] وكان منذ صغره طموحا متطلعا ، وقد لازمه هذا الطموح حتى برزت مواهبه وعم إنتاجه ، وغدا شخصية علمية يشار اليها بالبنان ، ويحدثنا ( الفتح إبن خاكان ) عن هذه الصفة فى ابن عطية التى أورثته علوا فى الرتبه وعظمة فى المكانة فيقول :

« سابق الأمجاد ، فاستولى على الأمد بغلابه ، ولم ينض ثوب شبابه ، أدمن التعب فى السؤدد وجاهد حتى تناول الكواكب قاعدا » [2]

يقول المقرى : « فتى العمر كهل العلاء ، حديث السن قديم السناء ، سما إلى رتبة الكهول صغيرا ، وشن كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا فسباها معنى وفضلا ،

---

(١) انظر فهرس إبن عطية صـ١٥ تحقيق د / محمد أبو الأحقاف ، والأستاذ محمد الزاهى - طبعة ثانية - دار الغرب الإسلامى بيروت سنة ١٩٨٣ م ، وطبقات المفسرين للداودى جـ ١ صـ ٢٦٧ .

(٢) قلائد العقيان صـ ٢١٧ لأبى نصر الفتح إبن محمد إبن حاكان ، طبعة التقدم العلمية - الطبعة الأولى .

وحواها فرعا وأصلا .»[١]

## بيئته ونشاته

نشأ القاضى أبو محمد بن عطية فى بيت علم وفضل ، فأبوه أبوبكر غالب بن عطية إمام حافظ ، وعالم جليل ، رحل فى طلب العلم وتفقه على العلماء ، وجده عطية أنسل كثيرا لهم قدر وفيهم فضل ، فلا عجب إذن أن يشبه الفرع أصله .[٢]

## مكانته العلمية :

يحدثنا لسان الدين ابن الخطيب عن مكانته العلمية فيقول :

كان ابن عطية فقيها عالما بالتفسير والأحكام ، والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب مقيدا حسن التقييد له نظم ونثر ، ولى القضاء بالمرية ، وكان فى غاية

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين إبن الخطيب جـ٣ صـ٢٨١ تأليف أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد دار الكتاب - بيروت .

(٢) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون جـ١صـ٢٣١ - مكتبة وهبة ، طبعة رابعة . سنة ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م .

الذكاء . . . . سرى الهمة فى اقتناء الكتب ، توخى الحق وعدل فى الحكم وأعزا لخطة [١]، وشهد له الإمام الكتبى فقال : « ذا ضبط وتقييد ، وتجويد ، وذهن سيال ، ولو لم يكن له إلا التفسيرلكفى . . [٢].وقد وصفه أبوحسان التوحيدى فى مقدمة تفسيره بقوله : « إنه من أجل من صنف فى علم التفسير ، وأفضل من تعرض للتنقيح والتحرير » [٣]

**شيوخه :**

تتلمذ ابن عطية على أئمة الحديث والفقه والعربية النابهين فى عصره وأهمهم والده الحافظ أبو بكرٍ ابن عطية ، فقد أخذ عنه الحديث ، وروى عنه . [٤]، وأخذ العربية عن الإمام أبى الحسن على ابن أحمد ابن خلف الأنصارى المعروف بإبن الباذشى .

كان شيخا من شيوخ العربية ، ووصفه إبن عطية بأنه كان من الحفاظ لكتاب

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة جـ٣ صـ٥٣٩ . تأليف لسان الدين إبن الخطيب تحقيق/ محمد عبدالله عنان - طبعة أولى سنة ١٣٩٥ هـ - مكتبة الخانجى .

(٢) جـ٢ صـ٢٥٦ ، تأليف محمد شاكر الكتبى - تحقيق د / إحسان عباس دار الأنصار - بيروت .

(٣) تفسير البحر المحيط جـ١ صـ٩ - دار الفكر .

(٤) طبقات المفسرين للداودى صـ٢٦٥ ، والديباج المذهب لإبن فرحون المالكى تحقيق د/محمد الأحمدى أبو النور - مكتبة التراث للطباعة والنشر بالقاهرة .

سيبويه المبرزين فى النظر فى معاينه من أهل الخبر والرواية .[١]

وأما الفقه فقد أخذه عن أبى عبدالله محمد بن فرج القرطبى الأصل كان - رحمه الله - من أهل الفضل والصلاح مع التقدم فى حفظ الرأى والمعرفة بالفتيا ، والوثائق ، وله تأليف حسن فى أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأليف فى مختصر أبى على المدونة لخصها وأخرجها ، وكتاب فى حسن الوثائق [٢].

**تلاميذه :**

تتلمذ علي عبد الحق بن عطية الكثير من العلماء ، وأخذوا عنه الكتب والمصنفات

**فمن تلامذته :**

(١) ابنه حمزة .

(٢) أبوالقاسم عبدالرحمن ابن عبيد ابن يوسف الأنصارى الأندلسى المعروف بإبن حبيش ، ومن تصانيفه اقتضاب صلة إبن بشكوال ، وقد روى عنه تفسيره .[٣]

(٣) عبد الملك بن محمد ابن سعود ابن أبى الفضل الغافقى ، وقد قرأ على عبد الحق ابن عطية فهرسته .

---

(١) فهرس ابن عطية صـ١٠١ .

(٢) المصدر السابق صـ ٢١١ .

(٣) فهرس ابن عطية صـ١٥-١٦ ، البحر المحيط جـ ١ صـ ١١.

(٤)عبد المنعم ابن محمد ابن عبد الرحيم ابن محمد الخزرجي المعروف بإبن الفرس. ومن تأليفه مسائل الخلاف فى النحو وأحكام القرآن .[1]

(٥) ومن تلاميذ إبن عطية أيضا أبوجعفر أحمد إبن الحسن إبن أحمد إبن الحسن القضاعى ، وكان مشاركا فى فنون العلم[2].

(٦) أحمد ابن عباس ابن وكيل التحبيبى المعروف بإبن الأقليش[3].

(٧) على ابن أحمد الشقورى ، وذكر أبو حيان فى مقدمة تفسيره أن الشقورى هو أكثر من حدث عن عبدالحق ابن عطية ، وآخر من روى عنه .

وبعد أن قمنا بالترجمة لابن عطية نعرض لموضوع بحثنا وهو الجانب العقدى ، وموقفه من آراء المتكلمين فيه .

---

(١) فهرس ابن عطية صـ ١٦.

(٢) نفح الطيب حـ٢ صـ ٣٣٨ .

(٣) المصدر السابق حـ ٢ صـ ٥٩٨ .

## المبحث الأول

## الإستدلال على وجود الله ووحدانيته

**هذا المبحث كما هو واضح ذو شقين :**

**الأول** : هو الإستدلال على وجود الله عز وجل .

**الثانى** : هو إثبات وحدانيته سبحانه .

أما عن الشق الأول وهو الإستدلال على وجود الله . فلن نطيل فيه حيث إن القرآن الكريم لم يطل الحديث عنها ، لأن أحدا لم ينكر وجود إله لهذا الكون اللهم إلا شرذمة قليلة من الناس سموا بالدهريين ويتلخص رأى هؤلاء فى أن المسألة كلها ما هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ، وأن الدهر هو المفنى . وقد أشار إليهم القرآن الكريم فى قوله تعالى

« وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » [1]

ولقد أبطل القرآن الكريم زعمهم لأنه لم يقم على أساس علمى يقينى بل قام على الظن وهو لا يصلح فى مسائل العقيدة كما جاء فى قوله تعالى « . . . . وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » [2]

---

(١) سورة الجاثية - آية ٢٤ .

(٢) سورة الجاثية - آية ٢٤ .

وهناك من ينكر وجود إله لهذا الكون أيضا وهم الذين سموا بالطبيعيين وهؤلاء يزعمون أن الطبيعة هى التى أوجدت نفسها بنفسها وعلى كل حال فبالرغم من قلة المنكرين لوجود الله إلا أن القرآن الكريم قد ساق أدلة واضحة على وجود الله منها :

## أولا : الدليل الفطرى

وهذا يعنى أن الإعتراف بوجود الله أمر جبلت عليه النفوس البشرية .

يقول الله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » [1].يقول إبن عطية عند تفسيره لهذه الآية الكريمة :

« والذى يعتمد عليه فى تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة فى نفس الطفل التى هى معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به ،

فكأنه قال « فأقم وجهك للدين » الذى هو الحنيف وهو « فطرة الله » الذى على الإعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه » الحديث ، فذكر

---

(١) سورة الروم آية ٣٠ .

الأبوين إنما هو مثال للعوارض التى هى كثيرة » [١]

## ثانيا : النظر فى الكون

وأما عن الدليل الثانى : فهو النظر فى الكون ومافيه من صنع عجيب وترتيب دقيق ونظام بديع . يقول الله عز وجل « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »[٢] ويفسر إبن عطية هذه الآية بقوله : « ثم دل على مواضع النظر والعجرة حيث يقع الإستدلال على الصانع بوجود السماوات والأرضين والمخلوقات دل على العلم ، ومحال أن يكون موجود عالم مريد غير حى ، فثبت بالنظر فى هذه الآية عظم الصفات » [٣]

وعند تفسيره لقول الله عز وجل « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون » [٤] يقول : « النظر لفظ يعم جميع ما ينظر فيه ويستدل به من الصفة

---

(١) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للقاضى محمد عبد الحق إبن غالب إبن عطية الأندلسى المتوفى سنة ٥٤٦ هـ تحقيق عبد السلام عبد الشافى محمد - طبعة محققة عن نسخة آياصوفيا - استانبول رقم (١١٩) جـ ٤ صـ ٣٣٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٠ .

(٣) المحرر الوجيز جـ ١ صـ ٥٥٤ .

(٤)سورة الأعراف آية ١٨٥ .

الدالة على الصانع ومن نفس الأنفس وحواسه ومواضع رزقه »[١]

ونجده أيضا عند تفسيره لقول الله تعالى » قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »[٢]

يقول :« هذه الآية أمر للكفار بالإعتبار والنظر فى المصنوعات الدالة على الصانع وغير ذلك ، والأرض ونباتها ومعادنها وغير ذلك ، المعنى : أنظروا فى ذلك بالواجب فهو ينتهى بكم إلى المعرفة بالله والإيمان بوحدانيته »[٣]

وهنا نلحظ أن إبن عطية قد وقف فى الإستدلال على وجود الله عند طريقة القرآن الكريم .

وأما عن الشق الثانى : وهو إثبات وحدانية الله تعالى فلقد عرف إبن عطية صفة الوحدانية بأنها تعنى :

نفى المثيل والنظير والند وتعنى أيضا نفى التبعيض والإنقسام[٤]

وإننالنجد إبن عطية فى الإستدلال على وحدانية الله أحيانا يقف عند طريقة القرآن الكريم مفسرا للآيات بما يبرز هذا المسلك القرآنى .

---

(١) المرجع السابق جـ ٢ صـ ١٤٥.

(٢) سورة يونس آية ١٠١ .

(٣) المرجع السابق جـ٣صـ١٤٥ .

(٤) المرجع السابق جـ١ صـ ٢٣٢ .

وأحيانا نجده لا يكتفى بطريقة القرآن الكريم وإنما يذكر دليل المتكلمين وهو الدليل المعروف بدليل التمانع وإليك تفصيل القول فى ذلك :-

### أولا : طريقة القرآن الكريم فى إثبات الوحدانية

لاشك أن القرآن الكريم له مسلكه فى الاستدلال على العقائد من ذلك مسلكه فى الإستدلال على الوحدانية ويتلخص مسلك القرآن الكريم فى أمرين :

### الأمر الأول

النظام المبثوث فى هذا الكون من صنع عجيب ، وتركيب دقيق وإتقان بديع

### الأمر الثانى

نجد القرآن الكريم يعيب آلهة المشركين ، ويلحق بها العجز والنقص وفى ذلك إثبات لكمال الله ووحدانيته . وفى هذا الصدد نجد إبن عطيه فى استدلاله على وحدانية الله تعالى يبرز هذا المسلك القرآنى وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى :

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل النهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات

لقوم يعقلون » [١]

فبعد أن ساق هذه الآية استدل على أن الله موجود وإنه تعالى واحد ، انطلاقا من هذه الآيات المبثوثه فى الآفاق [٢].

ولاشك أن هذا يتفق مع مسلك القرآن الكريم فى الإستدلال على وحدانية الله تعالى فى صدد استدلاله أيضا على الوحدانية يسوق إبن عطية مسلكا من مسالك القرآن الكريم فى الإستدلال على الوحدانية يرتكز على تحقير آلهة المشركين وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى : « ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » [٣]

**يقول إبن عطية** : بدأ تعالى ينفى الخلق والإختراع عنهم من حيث هى صفة ثابتة له مختصة به ، فكأنه قال ليس لهم صفتى ثم ثنا بالأمر الذى بلغ بهم غاية التعجيز وذكر تعالى أمر سلب الذباب لأنه كان كثيرا محسوسا عند العرب ، وذلك أنهم كانوا يضمخون أوثانهم بأنواع الطيب فكان الذباب يذهب بذلك وكانوا متألمين من هذه الجهة كما نلحظ أن إبن عطية يرتكز على أن تعدد الآلهة يؤدى إلى

---

(١) سورة البقرة : آية ١٦٤

(٢) المحرر الوجيز جـ ١ ص ـ٢٣٤

(٣) سورة الحج آية ٧٣ .

إفساد الكون كما فى قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .. »[١] لكن لما كان يكتف بهذا المسلك القرآنى بل أضاف طريقة المتكلمين .

## طريقة المتكلمين فى الإستدلال على الوحدانية

لقد اعتمد المتكلمون فى إثبات الوحدانية على الدليل المشهور عندهم وهو المسمى بدليل التمانع ، ويتلخص فى أنه لو كان للعالم إلهان لأمكن أن يحصل بينهما تمانع وتغالب بأن يريد أحدهما مثلا حركة زيد والآخر سكونه فعندئذ تنتج عدة إحتمالات إما أن يحصل مرادهما معا وهذا محال لأنه يستلزم الجمع بين الضدين أو يحصل مراد أحدهما فيكون الذى حصل مراده إلها والآخر عاجزا وإما أن لا يحصل مرادهما جميعا فيلزم عجزهما والعاجز لا يكون إلها »[٢].

وإننا نجد إبن عطية يستخدم نفس الدليل - التمانع - عند تفسيره لقول الله تعالى: « قل لوكان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا »[٣].

---

(١) سورة الحج آية ٧٣ .

(٢) اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع للأشعرى من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٥م - تحقيق الدكتور / حموده غرابه صـ ٢٠ والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلانى تحقيق محمد زاهد الكوثرى - الطبعه الثانية مؤسسة الخانجى للطباعة صـ ٣٤ الشامل فى أصول الدين للجوينى - تحقيق الدكتور / على سامى النشار - منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٦٩م صـ٣٥٢.

(٣) سورة الإسراء آية : ٤٢ .

وقوله تعالى : « لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[١] ، وقوله تعالى : " ما إتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون »[٢].

**يقول إبن عطية :** ثم بين تعالى أمر التمانع بقوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وذلك بأنه كان يبغى بعضهم على بعض ويذهب بما خلق ، وإقتضاب القول فى هذا أن الإلهين لو فرضا فوقع بينهما الإختلاف فى تحريك جرم وتسكينه فمحال أن تتم الإرادتان ومحال أن لا تتم جميعا ، وإذا تمت الواحدة كان صاحب الأخرى عاجزا وهذا ليس بإله ، وجواز الإختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما »[٣].

ومع ذلك نجد إبن عطية يقطع بأن هذا الدليل وهو دليل التمانع مأخوذ من الآيات القرآنية السابقة ، ولقد اعترض إبن رشد على كون الدليل مستنبط من الآيات القرآنية بقوله :« وقد يدلك على أن الدليل الذى فهمه المتكلمون من الآية ليس هو الدليل الذى تضمنته الآية . إن المحال الذى أفضى إليه دليلهم غير المحال الذى تضمنته الآية . إن المحال الذى أفضى إليه دليلهم غير المحال الذى أفضى اليه الدليل المذكور فى الآية وهو أكثر من محال واحد إذ قسموا الأمر إلى ثلاثة أقسام وليس فى الآية تقسيم فدليلهم الذى استعملوه هو الذى يعرفه أهل المنطق بالقياس

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ٩١ .

(٣) المحرر الوجيز جـ ٤ صـ ٧٨ .

الشرطى المنفصل ، ويعرفونه هم فى صناعتهم بدليل السير والتقسيم والدليل الذى فى الآية هو الذى يعرفونه هم فى صناعتهم بدليل المنطق الشرطى المتصل وهو غير المنفصل ومن نظر فى تلك الصناعة أدنى نظر تبين له الفرق بين الدليلين [١] .

ونحن نرى أن ما ذهب إليه إبن عطية فى فهم الآية واستنباط الدليل منهما بعيدا عن روح النص القرآنى لأن الآية تدل على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة بل لا يكون الإله إلا واحدا وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله . وأن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة .. » [٢] فخرج إبن عطية عن هذا المعنى الواضح للآية إلى تأويلات عقلية لا تصلح إلا للخاصة من الناس .

---

(١) مناهج الأدلة في عقائد الملة - لابن رشد ص ١٥٨ الطبعة الثانية ١٩٦٤م مكتبة الأنجلو المصرية - تقديم وتحقيق د/ محمود قاسم .

(٢) شرح الطحاوى فى العقيدة السلفيه - تحقيق أحمد محمد شاكر ص ٢٨ مطابع المختار الإسلامى .

## المبحث الثانى

## الاسماء والصفات

### أولا : الإسم فى اللغة

عرف إبن عطيه الإسم فى اللغة فقال : ( واسم أصله . سمو بكسر السين أو سمو بضمها ، وهو عند البصريين مشتق من السمو . يقال سما يسمو وقال الكوفيون : أصل إسم وسم من السمة، وهى العلامة :لأن الاسم علامة لمن وضع له . ويرى إبن عطيه أن هذا القول جيد لولا مايلزمهم من أن يقال فى التصغير وسيم وفى الجمع أوسام لأن التصغير والجمع يردان الأشياء الى أصولها [1] .

**وهذه المعانى اللغوية للإسم تدور حول معنيين**

**الأول هو** : العلو والرفعة تنويها بعظمة الإسم، وعلو شأنه .

**والمعنى الثانى هو** : العلامة المميزة للإسم عن غيره .

### ثانيا : الإسم فى الإصطلاح

وأما الاسم فى الإصطلاح فلم يشر إليه إبن عطية فى تفسيره ونحن نذكره هنا لتتم الفائدة : فهو فى الإصطلاح عبارة عن عما دل على معنى غير مقترن بزمان، كرجل

---

(١) المحرر الوجيز حـ ١ ص ٢٦.

المعجم الوسيط حـ ١ ص ٤٥٢ .

وفــرس، وورد الإسم فى القــرآن الكريم : **لقـد وردت لفظة أسـماء الله فى القرآن الكريم فى أربعة مـواضع**

**الأولــى** : قوله تعالى « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها »[١]

**والثـانى** : قـوله عـز وجل : « قل ادعـو الله أو ادعـو الرحـمن أياما تدعـوا فله الأسماء الحسنى »[٢] .

**والثالث** : قوله تعالى « الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى »[٣] .

**والرابع** : قوله جل وعلا:« هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى »[٤]

**والذى يهمنا فى هذه الآيات أن نتناول بالحديث ثلاث مسائل هى**

١- هل أسماء الله توقيفية ام وصفية ؟

٢- هل أسماء الله محصورة فى التسعة والتسعين ام لا ؟

٣- علاقة الإسم بالمسمى وهل هو عين المسمى أو غيره .

---

(١) سورة الاعراف : آيه ١٨٠.

(٢) سورة الاسراء : آيه ١١٠.

(٣) سورة طه : آيه ٨ .

(٤) سورة الحشر آيه ٢٤.

**موقف إبن عطيه من هذه المسائل**

**أولا : هل أسماء الله توقيفية أو وضعية ؟**

بالنسبة لهذه المسألة فقد اتفق علماء المسلمين على جواز إطلاق الأسماء ، والصفات على الله تعالى إذا ورد بها الإذن من الشارع، وعلى الإمتناع فيما ورد المنع عنه ، واختلفوا فيما لم يرد فيه إذن ولامنع، فذهب المعتزلة إلى جواز ذلك مطلقا ومال إليه الباقلانى ومنعه الأشعرى والجمهور ، وقد صور إبن عطيه هذه الإتجاهات بقوله : (واختلف الناس فى الإسم الذى يقتضى مدحا خالصا ولا يتعلق به شبهة ولا اشتراك، إلا أنه لم ير منصوصا هل يطلق ويسمى الله به ؟ فنص الباقلانى على جواز ذلك ونص أبو الحسن الأشعرى على منع ذلك ؟ والفقهاء والجمهور على المنع ، وهو الصواب أن لايسمى الله تعالى إلا باسم قد أطلقته الشريعة ووقفت عليه أيضا ، فإن هذه الشريطة التى فى جواز إطلاقه من أن تكون مدحا خالصا لاشبهة فيه ولا اشتراك أمر لايحسنه إلا الأقل من أهل العلوم فإذا أبيح ذلك تسود عليه من يظن بنفسه الإحسان وهولايحسن فأدخل فى أسماء الله مالايحوز إجماعا .[1]

مما سبق يتضح لنا أن إبن عطيه قد ذهب إلى عدم جواز إطلاق أى إسم على الله تعالى، مالم يرد به إذن من الشارع ، وهو بذلك يتفق مع الأشعرى والفقهاء

---

(١) المحرر الوجيز حـ ٢ ص ٤٨٠ .

والجمهور حيال هذه المسألة .

ويظهر ذلك جليا عند تفسير إبن عطيه لقول الله تعالى :« فله الأسماء الحسنى»[1]( أى له سائر الأسماء الحسنى ، أى التى تقتضى أفضل الأوصاف وهى بتوقيف، لايصح وضع اسم الله بنظر إلا بتوقيف من القرآن أو الحديث ) .[2]

## ثانيا : هل أسماء الله محصورة فى التسعة والتسعين أو لا ؟

يذهب إبن عطيه الى أن أسماء الله تعالى ليست محصورة فى التسعة والتسعين الواردة فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إن هناك أسماءا قد وردت فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم، وليست من التسعة والتسعين ، ويتضح ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها »[3] يقول : ومن أسماء الله تعالى ما ورد فى القرآن ومنها ما ورد فى الحديث وتوافر ، وهذا هو الذى ينبغى أن يعتمد عليه ، وقد ورد فى الترمذى حديث عن أبى هريرة ونص فيه تسعة وتسعين اسما ، وفى بعضهما شذوذ وذلك الحديث ليس بالمتواتر وإنما المتواتر منه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة » . ومعنى أحصاها عدها وحفظها وتضمن

---

(١) سورة الاسراء آيه ١١٠ .

(٢) المحرر الوجيز حـ ٣ ص ٤٩٢ .

(٣) الاعراف آيه : ١٨٠.

ذلك الإيمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والعبرة فى معانيها ، وهذا حديث البخارى، والمتحصل منه أن لله تعالى هذه الأسماء مباحاً إطلاقها، وورد فى بعض دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : « يا حنان يا منان » ولم يقع هذان الأسمان فى تسمية الترمذى، وقوله : ( فادعوه بها ) إباحة إطلاقها [١] .

## ثالثا : علاقة الإسم بالمسمى وهل هو عين المسمى أو غيره

يرى إبن عطية أن الإسم هو عين المسمى خلافاً لما عليه البعض من أنه غيره ، فيقول معبراً عن ذلك « إن الإسم قد يرد فى الكلام ، ويراد به الذات كقولك زيد قائم ، وقد يرد ويراد به التسمية ذاتها كقولك أسد ثلاثة أحرف ، ففى الأول يقال الإسم عين المسمى ، وفى الثانى لا يراد به المسمى [٢] .

ثم يبين إبن عطية أن الإسم الذى هو « ألف وسين ، وميم » قد يجرى فى لغة العرب مجرى الذات ، وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله تعالى : « سبح إسم ربك الأعلى »[٣] ،و قوله تبارك وتعالى :« تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام»[٤]

---

(١) المحرر الوجيز جـ ٢ ص ٤٨١ .

(٢) المحرر الوجيز جـ ١ ص ٦٢ .

(٣) سورة الأعلى : آية ١ .

(٤) سورة الرحمن : آية ٩٨ .

وقد يجرى الإسم فى اللغة مجرى ذات العبارة وهو الأكثر ومنه قوله تعالى : ( وعلم آدم الأسماء كلها )[١] . فالذى ينتحل من هذا هو أن الأسماء قد تجئ ويراد بها ذوات المسميات ، وفى هذا يقال الإسم عين المسمى ، وقد تجئ ويراد بها ذواتها نفسها لا مسمياتها ، ثم قال إبن عطية : « ومر بى أن مالكاً - رحمه الله - سئل عن الإسم أهو لمسمى أوغيره؟ فقال : ليس به ولا هو غيره، وزيد دائماً فى كل موضع وهذا موافق لما قلنا.[٢]

## موقف إبن عطية من إثبات معانى الصفات

إننا نجد إبن عطية يثبت معانى الصفات لله تعالى ، خلافاً للمعتزلة ، يظهر ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى :« الله لا إله إلا هو الحى القيوم »[٣].

حيث يقول : و« الحى » صفة من صفات الله تعالى ذاتية ، وذكر الطبرى ، عن قوم أنهم قالوا: الله تعالى حى لا بحياة . وهذا قول المعتزلة وهو قول مرغوب عنه ، وحكى عن قوم أنه حى بحياة هى صفة له ، وحكى عن قوم أنه يقال حى كما وصف نفسه ، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه[٤] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٣١ .

(٢) المحرر الوجيز جـ ١ ص ٦٢ - ٦٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٤) المحرر الوجيز جـ ١ ص ٣٤٠ .

ويقول أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى :( ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً )[١] وثبتت بنص هذه الآية القوة لله بخلاف قول المعتزلة فى نفيهم معانى الصفات القديمة [٢] . وهكذا يتضح لنا أن إبن عطية من مثبتى الصفات ، وأنه يرفض ما عليه المعتزلة من نفى معانى الصفات ، وتأكيداً لهذا نورد هنا رأى ابن عطية فى موضع آخر وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى : ( لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه )[٣] .

يقول : هذه الآية من أقوى متعلقات أهل السنة فى إثبات علم الله تعالى خلافاً للمعتزلة فى أنهم يقولون : عالم بلا علم ، والمعنى عند أهل السنة : أنزله وهو يعلم إنزاله ونزوله ، ومذهب المعتزلة فى هذه الآية أنه أنزله مقترناً بعلمه ، أى فيه علمه من غيوب وأوامر ونحو ذلك ، فالعلم عبارة عن المعلومات التى فى القرآن[٤]

(١) سورة البقرة آية : ١٦٥ .
(٢) المحرر الوجيز جـ ١ ص ٢٣٥ .
(٣) سورة النساء : آية ١٦٦ .
(٤) المحرر الوجيز جـ ٢ ص ١٣٨ .

## موقف ابن عطية من الصفات الخبرية
## « النصوص الموهمة للتشبيه »

لقد تعددت أقوال العلماء حول النصوص الموهمة للتشبيه مثل قول الله تعالى : ( يد الله فوق أيديهم )[١] وقوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى )[٢] . فوجدنا السلف قد ذهبوا إلى إبقاء هذه النصوص كما جاءت ، فقد أثر عنهم قولهم: « أمروها كما جاءت ، من غير تأويل ولا تفسير » . وأما المعتزلة فقد ذهبوا إلى وجوب صرف هذه الآيات عن ظاهرها إلى معانى تتفق مع العقل . وأما بالنسبة لموقف الأشاعرة فقد وقفوا من هذه المسألة موقفين .

**الأول** : نجد المتقدمين منهم يميلون الى رأى السلف .

**الثانى** : ذهب المتأخرون الى وجوب التأويل . وصرف هذه النصوص عن ظاهرها - وهم بذلك قد وافقوا المعتزلة .

### فما موقف إبن عطية من هذه النصوص الموهمة للتشبيه ؟

سوف يتضح رأيه بعد عرض نماذج من تفسير إبن عطية لهذه النصوص الموهمة للتشبيه ، ونبدأ بقول الله تعالى : (وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم

---

(١) سورة الفتح : آية .

(٢) سورة طه : آية .

سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون)[1] نرى إبن عطية عند تفسيره لهذه الآيه الكريمة ، يؤكد تنزيه الله تعالى عن الحلول فى الأماكن أو التحيز فى الجهات ، فيقول : (قاعدة الكلام فى هذه الآية أن حلول الله تعالى فى الأماكن مستحيل ، وكذلك مماسته للأجرام أو محاذاته أو تحيزه فى جهة، لامتناع جواز التعدد عليه تبارك وتعالى، فإذا تقرر هذا تبين أن قوله تعالى ( وهو الله فى السموات وفى الأرض ) ليس على حد قولنا زيد فى الدار، بل هو على حد من التأويل آخر ، قالت فرقة : ذلك على تقدير صفة محذوفة من اللفظ ، ثابتة فى المعنى ، كأنه قال : وهو الله المعبود فى السموات وفى الأرض ، وعبر بعضهم بأن قدر: وهو الله المدبر للأمر فى السموات وفى الأرض، وقال الزجاج : ( فى ) متعلقة بما تضمنه اسم الله تعالى من المعانى ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة فى المشرق والمغرب .

قال الفقيه أبو محمد : وهذا عندى أفضل الأقوال ، وأكثرها إحرازاً لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى [2] . ثم نرى إبن عطية فى تفسيره لقول الله تعالى :( هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جمعياً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم )[3] . يفسر لنا كلمتى { ثم استوى } فى هذه الآية بما يبعدهما عن معنى الزمان والمكان اللذين يستحيلان فى حق الله تعالى ،

---

(١) سورة الانعام : آيه ٣ .

(٢) المحرر الوجيز جـ ٢ ص ٢٦٧ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٩ .

فيقول ابن عطية : ثم : هنا هى لترتيب الأخبار ، لا لترتيب الأمر فى نفسه ، واستوى : قال قوم : معناه علا دون تكيف ولا تحديد ، هذا اختيار الطبرى ، والتقدير : علا أمره وقدرته وسلطانه ، وقال ابن كيسان : معناه قصد إلى السماء ، قال الفقيه أبو محمد : أرى بخلقه واختراعه ، وقيل معناه : كمل صنعه فيهما ، كما تقول : استوى الأمر، وهذا خلق، وحكى الطبرى عن قوم : أن المعنى أقبل ، وضعفه ، وحكى عن قوم : أن المستوى هو الدخان : وهذا أيضاً يأباه وصف الكلام ، وقيل : المعنى استولى ،

كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وهذا إنما يجئ فى قوله تعالى : ( على العرش استوى )[1] ، والقاعدة فى هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ، ويبقى استواء القدرة والسلطان[2] . ثم يفسر إبن عطية معنى الفوقية بالنسبة لله تعالى بأنها فوقية قدر وعظمة لا فوقية جهة ومكان ، فنجده عند تفسير قوله تعالى :( يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما

---

(١) سورة طه : ٥ .

(٢) المحرر الوجيز جـ ١ ص ١١٥ .

يؤمرون )[١] يقول : وقوله تعالى ( من فوقهم ) يحتمل معنين : أحدهما الفوقية التى يوصف بها الله تعالى فهى فوقية القدر والعظمة والسلطان والقهر، والآخر :أن تعلق قوله (من فوقهم ) بقوله : ( يخافون ) أى يخافون عذاب ربهم من فوقهم وذلك أن عادة عذاب الله للأمم إنما يأتى من جهة فوق [٢] .وعندما يعرض إبن عطية لتفسير الآيات التى يوهم ظاهرها مشابهة الله للحوادث ، مثل الآيات التى تثبت لله وجهاً أو يداً أو عيناً ، فإنه فى هذه الحالة يذكر آراء أهل السنة ، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى :( وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)[٣]

**يقول ابن عطية :** العقيدة فى هذا المعنى : نفى التشبيه عن الله تعالى ، وأنه ليس بجسم ولا له جارحة ، ولا يشبه ولا يكيف ولا يتحيز، ولا تحله الحوادث ، تعالى عما يقول المبطلون ثم اختلف العلماء فيما ينبغى أن يعتقد فى قوله تعالى: ( بل يداه ) وفى قوله تعالى : ( بيدى )[٤]

---

(١) سورة النحل : آية ٥٠ .

(٢) المحرر الوجيز جـ ٣ ص ٣٩٩ .

(٣) المائدة : آية ٦٤ .

(٤) سورة ص : ٧٥ .

و ( عملت أيدينا )[١] ، و( يد الله فوق أيديهم )[٢] ، و ( ولتصنع على عينى )[٣]، و ( تجرى بأعيننا )[٤] ، و(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا )[٥] و( كل شئ هالك إلا وجهه )[٦] . ونحو هذا فقال فريق من العلماء ، منهم الشعبى وابن المسيب وسفيان : نؤمن بهذه الأشياء ونقر بها كما نصها الله تعالى ، ولا يعن لتفسيرها، ولا يشتق النظر فيها .

قال الفقيه أبو محمد رضى الله عنه : وهذا قول مضطرب ، لأن القائلين به يجمعون عل أنها أمور ليست على ظاهرها فى كلام العرب ، فإذا فعلوا هذا فقد نظروا، وصار السكوت على الأمر بعد هذا مما يوهم العوام ، ويتيه الجهلة .

وقال جمهور الأمة : بل تفسير هذه الأمور على قوانين اللغة ومجاز الإستعارة وغير ذلك من أفانين كلام العرب ، فقالوا: فى العين والأعين إنها عبارة عن العلم والإدراك ، كما يقال : فلان من فلان بمرأى ومسمع ، إذا كان يعنى بأموره ، وإن كان غائباً عنه ، وقالوا : - فى الوجه - إنه عبارة عن الذات وصفاتها ، وقالوا : - فى اليد واليدين - إنها تأتى مرة بمعنى القدرة ، كما تقول العرب : لا

---

(١) سورة يس : ٧١ .
(٢) سورة الفتح : ١٠.
(٣) سورة طه : ٣٩ .
(٤) سورة القمر : ١٤ .
(٥) سورة الطور : ٤٨ .
(٦) سورة القصص .

يد لى بكذا ومرة بمعنى النعمة - كما قال : لفلان عند فلان يد ، وتكون بمعنى الملك ، كما يقال : يد فلان على أرضه ، وهذه المعانى إذا وردت عن الله تبارك وتعالى عبر عنها باليد أو الأيدى أو اليدين ، استعمالاً لفصاحة العرب ، ولما فى ذلك من الإيجاز - هذا مذهب أبى المعالى والحذاق .

وقال قوم من العلماء - منهم القاضى ابن الطيب - : هذه كلها صفات زائدة على الذات ، ثابتة لله تعالى ، دون أن يكون فى ذلك تشبيه ولا تحديد ، وذكر هذا القول الطبرى وغيره [1] . مما سبق يتبين أن إبن عطية فى تفسيره يقرر عقيدة الأشاعرة بالنسبة لما يتعلق بذات الله وصفاته .

فيذكر أن الله تعالى ليس كمثله شئ ، وأنه ليس بجسم ولا متحيز فى جهة ، وأنه منزه عن الحواس والتشبيه والتكيف ، ويستشهد إبن عطية كثيراً فى تفسيره بأقوال الأئمة من أهل السنة كالأشعرى والباقلانى وإمام الحرمين .

ففى تفسير الآيات التى يوهم ظاهرها أن الله متحيز فى جهة ، أو يحويه مكان أو يحده زمان - نرى إبن عطية يحاول توجيه هذه الآيات بما يتفق مع عقيدة الأشاعرة بالنسبة لذات الله تعالى وما يجب لها من التنزيه التام .

---

(١) المرجع السابق حـ ٢ ص ٢١٥ .

## المبحث الثالث : الرؤية

## ( رؤية الله تعالى فى الآخرة )

لقد حدث خلاف حول رؤية الله تعالى فى الآخرة بين المعتزلة والأشاعرة فذهبت المعتزلة إلى المنع ، وقالت الأشاعرة بجوازها عقلاً ووجوبها سمعاً .

ونجد إبن عطية فى تفسيره ينقض ما ذهب إليه المعتزلة وينصر ما كان عليه الأشاعرة ، ففى معرض نقده لأدلة المعتزلة نراه يرد عليهم بما يتفق مع ما ذهب إليه الأشاعرة ، وسنذكر فيما يأتى رأى المعتزلة وأدلتهم ، ورد إبن عطية على هذه الأدلة آية آية :-

**أولاً** : قول الله تعالى : ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير )[1] .يرى المعتزلة أن الإدراك إذا اقترن بالبصر فإن معناه الرؤية حينما يقول الله ( لا تدركه الأبصار ) معناه لا تراه الأبصار .

فها هو الزمخشرى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة يقول : ( فالمعنى : أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه لأنه متعال أن يكون مبصراً فى ذاته لأن الإبصار إنما يتعلق بما كان فى جهة أصلاً أو تابعاً كالأجسام والعينات[2] .

ويرد إبن عطية على تمسك المعتزلة بهذه الآية فيقول : أجمع أهل السنة

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

(٢) الكشاف - للزمخشرى جـ ٢ ص ٤١ - الطبعة الأخيرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

على أن الله تعالى يرى يوم القيامة ، يراه المؤمنون ، وقال إبن وهب عن مالك ابن أنس ، والوجه أن يبين جواز ذلك عقلاً ثم يستند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز ، واختصار تبيين ذلك يعتبر بعلمنا بالله عز وجل ، فمن حيث جاز أن نعلمه لا فى مكان ولا متحيز ولا مقابل ، ولم يتعلق علمنا بأكثر من الوجود ، جاز أن نراه غير مقابل ولا محاذى ولا مكيفاً ولا محدودا ، وكان الإمام أبو عبد الله النحوى يقول : مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك وهو قوله عز وجل :

( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة )[1] ، وتعدية النظر بإلى إنما هو فى كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الإنتظار على ماذهبت إليه المعتزلة ، وذكر هذا المذهب لمالك فقال : فأين هم من قوله تعالى : ( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون )[2] .

قال القاضى أبو محمد : فقال بدليل الخطاب ذكره النقاش ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما صح عنه وتواتر وكثر نقله : إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر . ونحوه من الأحاديث على اختلاف ترتيب ألفاظها ، وذهبت المعتزلة إلى المنع من جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة واستحال ذلك بأراء مجردة وتمسكوا بقوله تعالى « لا تدركه الأبصار » وانفصل أهل السنة عن تمسكهم بأن الآية مخصوصة فى الدنيا ، ورؤية الآخرة ثابتة بأخبارها ، وانفصال

---

(١) القيامة : ٢٢ .

(٢) المطففين : ١٥ .

آخر وهو أن يفرق بين معنى الإدراك ومعنى الرؤية ونقول أنه عز وجل تراه الأبصار ولا تدركه ، وذلك الإدراك يتضمن الإحاطة بالشئ والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته ، وذلك كله محال فى أوصاف الله عز وجل ، والرؤية لا تفتقر إلى أن يحيط الرائى بالمرئى ويبلغ غايته ، وعلى هذا التأويل يترتب العكس فى قوله ( وهو يدرك الأبصار ) ويحسن معناه[١] .

**ثانياً** : قول الله عز وجل ( ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين )[٢] .

يقول الزمخشرى حول تفسير هذه الآية ممثلاً رأى المعتزلة فى منع الرؤية (فإن قلت ما معنى لن ؟ قلت : تأكيد النفى الذى تعطيه لا ، وذلك أن لا تنفى المستقبل تقول : لا أفعل غداً ، فإذا أكدت نفيها قلت : لن أفعل غداً والمعنى أن أفعله ينافى حالى كقوله : ( لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ) .

فقوله ( لا تدركه الأبصار ) نفى للرؤية فيما يستقبل ، ولن ترانى تأكيد وبيان لأن النفى مناف لصفاته[٣] .

---

(١) المحرر الوجيز جـ ٢ ص ٣٣٠ .

(٢) الأعراف : آية ١٤٣ .

(٣) الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ١١٣ .

**رد إبن عطية** : ويرد إبن عطية على هذا الدليل فيقول

وقوله تعالى : ( لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل ) الآية . ليس بجواب من سأل محالاً ، وقد قال تعالى لنوح ( فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين [١] .

فلو سأل « موسى » محالاً لكان فى الكلام زجر ما وتبيين ، وقوله عز وجل ( لن ترانى ) نص من الله على منع الرؤية فى الدنيا ، و ( لن ) تنفى الفعل المستقبل ولو بقينا مع هذا النفى بمجرده لقضينا أنه لا يراه « موسى » أبداً ولا فى الأخرة . لكن ورد من جهة أخرى بالحديث المتواتر أن أهل الإيمان يرون الله تعالى يوم القيامة . فموسى عليه السلام أحرى برؤيته ، وقال مجاهد وغيره : إن الله عز وجل قال لموسى لن ترانى ولكن سأتجلى للجبل الذى هو أقوى منك وأشد فإن استقر وأطلق الصبر لهيبتى فستمكنك أنت رؤيتى [٢] .

### أدلة إبن عطية على الرؤية

تنقسم أدلة إبن عطية على رؤية الله تعالى فى الآخرة إلى قسمين : ( **عقلى ، وسمعى** ). فمن الناحية العقلية نراه يعول على رأى أهل السنة فيقول « ورؤية الله عز وجل عند الأشعرية وأهل السنة جائزة عقلا لأنه من حيث هو موجود

---

(١) هود ، آية ٤٦ .

(٢) المحرر الوجيز - جـ ٢ ص ٤٥٠ .

تصح رؤيته ، قالوا لأن الرؤية للشئ لا تتعلق بصفة من صفاته أكثر من الوجود[1] هذا الدليل يتلخص فى أن الله عز وجل تصح رؤيته لأنه موجود وكل موجود تجوز رؤيته .

**أما من الناحية السمعية فقد استدل بما يأتى**

**أولاً** : قول الله تعالى : ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ناظرة )[2] فيرى إبن عطية كما أشرنا من قبل أن تعديه النظر بإلى إنما هو فى كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الإنتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة .

**ثانياً** : يستدل إبن عطية بالحديث الذى رواه البخارى وغيره وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضارون فى رؤيته ». وهناك اعتراضات للمعتزلة حول إستدلال المثبتين لرؤية الله تعالى فى الآخرة ، ومنهم إبن عطية كما رأينا من قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ). وقد أورد إبن عطية هذه الإعتراضات فقال :{ وأما المعتزلة الذين ينفون رؤية الله تعالى ، فذهبوا فى هذه الآية إلى أن المعنى إلى رحمة ربها ناظرة أو إلى ثوابه أو ملكه ، فقدروا مضافا محذوفاً ، وهذا وجه سائغ فى العربية كما نقول : فلان ناظر إليك فى كذا ، أى إلى صنعك فى كذا . والرواية إنما تثبتها بأدلة قاطعة غير هذه الآية فإذا ثبت حسن تأويل أهل السنة فى هذه الآية وقوى ، وذهب بعض المعتزلة فى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) القيامة : آية ٢٢ .

هذه الآية إلى أن قوله تعالى ( إلى ) ليست بحرف الجر و إنما هى إلى واحد إلا لا ، وكأنه قال نعمة ربها منتظرة ، أو ناظرة من النظر بالعين ،

ويقال : نظرتك بمعنى انتظرتك )[1] .

وبعد أن أوردنا إعتراضات المعتزلة كما ذكرها إبن عطية فى تفسيره نرى ، أنه كان ينبغى على إبن عطية أن يحدد موقفه من هذه الإعتراضات لكنه لم يفعل بل ذكرها دون أن يرد عليها ولامانع هنا من أن نورد ردود أهل السنة على هذه الإعتراضات.

**أولاً :** لقد أجاب أهل السنة على قول المعتزلة بمضاف مقدر فى الآية بقولهم : إن النظر مضاف إلى الله تعالى ( إلى ربها ناظرة ) ولا يجوز حمله على غير ذلك ولو جاز لجاز أن نقوَل فى قوله تعالى ( اعبدوا ربكم ) أى غيره ، وهذا كفر صريح ، وأن نقول فى قوله تعالى ( فاتقوا الله وأطيعون ) أنه ذكر نفسه وأراد غيره وفى هذا قمة الشرك .[2]

وحقيقة الأمر أن إضمار المضاف وإقامة المضاف إليه مقام المضاف إنما يجوز عند تعيين المضاف فى نفسه بدليل من الدلائل فتحصل فائدة الكلام والإفهام ، كما فى قوله تعالى ( واسأل القرية التى كنا فيها ) أى أهل القرية ، لأن السؤال للجواب ، ولا بجواب ينتظر من الأبنية والحيطان وقد اختص بذلك الأهل ، فأما عند

---

(١) المحرر الوجيز جـ ٥ ص ٤٠٥ .

(٢) الإبانة : للأشعرى ص ٤٠ : ٤٥ .

انعدام دليل تعيين بعض ما يضاف ، فلا يجوز الإضمار لإنعدام الفائدة [١] .

**ثانياً** : وأما من قول المعتزلة بأن ( إلى ) فى الآية الكريمة هى مفرد آلاء ، فقد أجاب القرطبى على ذلك بقوله : [ هذا التأويل باطل - من ناحية اللغة - لأن واحد الآلاء يكتب بالألف لا بالياء ، ثم الآلاء نعمة الدفع وهم فى الجنة لا ينتظرون دفع نقمة عنهم ، والمنتظر للشئ متنغص العيش ، فلا يوصف أهل الجنة بذلك ][٢] .

**ثالثاً** : وينازع المعتزلة أهل السنة فيقولون : إن قولكم : النظر إذا اقترن بإلى دل على الرؤية غير صحيح ، فإن النظر المعدى بإلى قد يأتى بمعنى الانتظار كما قال تعالى ( فنظرة إلى ميسرة )[٣] .أى فإنتظار وقال عز وجل فيما حكى عن بلقيس : ( فناظرة بم يرجع المرسلون )[٤] . أى منتظرة وكما فى قول الشاعر :

وجوه يوم بدر ناظرات ... إلى الرحمن يأتى بالخلاص

ومعنى البيت : أن وجوه المؤمنين فى معركة بدر تنتظر إتيان الرحمن بالنصر ، وعلى ذلك فإلى حرف جر إلا أن النظر المعدى بما معناه الإنتظار وليس الرؤية. [٥]

---

(١) تبصرة الأدلة ص ٤٣٧ تحقيق د. محمد الأنور .

(٢) الجامع لأحكام القرآن . المجلد العاشر الجزء التاسع عشر ص ١١٠ .

(٣) البقرة : آية ٢٨٠ .

(٤) النمل :آية ٣٥ .

(٥) شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٦ .

وأجاب أهل السنة عن هذا الإعتراض بأن نظر الإنتظار لا يكون بالوجه بل بالقلب أما إذا كان النظر بالوجه فلا يفيد إلا الرؤية وبناء على هذا لا نسلم أن النظر ههنا أى فيما ذكر من الأمثلة للإنتظار ففى قوله : وجوه يوم بدر ناظرات ... الخ - أى ناظرات إلى جهة الله وهى العلو فى العرف ولذلك ترفع إليه الأيدى فى الدعاء ، أو ناظرات إلى آثار الله من الضرب والطعن الصادرين من الملائكة التى أرسلها الله تعالى لنصرة المؤمنين يوم بدر .

وإذا سلمنا جدلا أن النظر المعدى بإلى يفيد الإنتظار ، فإن القرائن هى التى تحدد المواد ، وفى الآية الكريمة ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة .... ) نجد القرائن هى الوجوه التى بها العيون يوم القيامة تنظر ولا يمكن حمل المعنى مع هذه القرائن إلا على النظر الحقيقى .[1]

ثم استدل إبن عطية على إثبات الرؤية . يقول الله تعالى : ( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) [2] فيقول : { وهو قول أهل السنة ، قال إن هؤلاء لا يرون ربهم فهم محجوبون عنه ، واحتج بهذه الآية مالك بن أنس فى مسألة الرؤية من جهة دليل الخطاب . وإلا فلو حجب الكل لما أغنى هذا التخصيص ، وقال الشافعى : لما حجب قوم بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضى [3] . ثم ذكر قول المعتزلة ، دون

(١) شرح المواقف ص ٢١٣ تحقيق د / أحمد المهدى .

(٢) المطففون : آية ١٥ .

(٣)المرجع السابق ص ٥ ص ٤٥٢.

تعليق فقال فى هذه الآية : إنهم محجوبون عن رحمة ربهم وغفرانه ، وصلى الجحيم مباشرة حر النار دون حائل [١] .ثم يذكر إبن عطية رأى المعتزلة له فى تفسير قوله تعالى( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) [٢] بقوله : « الحسنى هى الجنة ، والزيادة هى تضعيف الحسنات إلى سبعمائة فدونها حسبما روى فى نص الحديث وتفسير قوله ( والله يضاعف لمن يشاء )يقول بعدها وهذا قول يعضده النظر ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول[٣] . ونلحظ فى هذا النص أن إبن عطية يميل إلى رأى المعتزلة وأنه يريد أن يأخذ به لولا مكانة الأشعرى عنده .

وأما ما استدل به من نصوص على إثبات الرؤية لم يكن إلا إستدلالاً على ما ذهب إليه الأشاعرة وغيرهم من مثبتى الرؤية ، وأما رأيه الشخصى حيال هذه المسألة فكان غير واضح إلا أن اتضح عند تفسيره للنص الأخير كما أشرنا وهذه النظرة تقوى ما قاله ابن تيمية فى شأن إبن عطية حيث يقول : « وتفسير إبن عطية وأمثاله أتبع للسلف والجماعة ، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشرى ولو ذكر كلام السلف الموجود فى التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبرى وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً ، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ويذكر ما

---

(١) المرجع السابق جـ ٥ ص ٤٥٢ .

(٢) سورة يونس : آية ٢٦ .

(٣) المحرر الوجيز جـ ٣ ص ١١٥ .

يزعم أنه قول المحققين وإنما يعنى بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة لكن ينبغى أن يعطى كل ذى حق حقه ويعرف أن هذا التفسير على المذهب»[1]

## المبحث الرابع

## القضاء والقدر

مما لاشك فيه أنه لا خلاف بين المسلمين جميعاً فى أن الكون كله من عرشه إلى فرشه مخلوق لله عز وجل ، سبق به إرادته وعلمه .

وكذلك اتفقَ المسلمون جميعا على أن الأفعال الإضطرارية للإنسان كنبض قلبه وحركة أمعائه ، ورعشته ، وما يقع عليه بلا إرادة منه ، ولا قدرة معه هى من تقدير الله وخلقه ، ولا تكليف على الإنسان فى هذين النوعين ، ولا مسئولية عليه حيالهما ولا يمدح ولا يذم بسببهما.

واختلفوا حول الأفعال الإختيارية التى تنشأ عن إرادة من العبد وتصحبها قدرة منه عليها ، كامتثال الأوامر واجتنباب النواهى ، واحتدم الجدل وتنازعت الفرق وتعددت آراء هذه الفرق .

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٩١ - دار الصحابة للتراث بطنطا - طبعة أولى - دار الصحابة للتراث بطنطا - طبعة أولى - سنة ١٤٠٩ هـ .

فهناك **الجبرية** وهم أصحاب « جهم بن صفوان » يرون أن الإنسان لا يقدر على شئ ولا يوصف بالإستطاعة ، وانما هو مجبور فى أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا إختيار ، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق فى سائر الجمادات وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات كما يقال أثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وتحرك الحجر ، وطلعت الشمس وغربت ، وتغيمت السماء وأمطرت ، واهتزت الأرض وأنبتت ..... إلى غير ذلك .
والثواب والعقاب جبر ، كما أن الأفعال كلها جبر ، وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضا كان جبراً.

أما **القدرية** وهم أتباع « معبد بن خالد الجهنى » وكان يقول : « لا قدر وأن الأمر أنف » وهذه المقولة تعنى إنكار علم الله تعالى السابق بالحوادث ، وتنفى تقديره سبحانه للأمور وإرادته لها ، وتضيف الأفعال للإنسان نفسه ، فهو موجدها والمسئول عنها .

وأما **المعتزلة** فقد أثبتوا العلم الإلهى الأزلى الشامل ، وأثبتوا القدرة المطلقة لله عز وجل ، لكنهم قالوا : إن الإنسان هو المحدث لأفعال نفسه الإختيارية بما منحه الله من القدرة وأسبابها .

بقى **الأشاعرة** وقد قالوا بالكسب ، وعرفوه بأنه : مقارنة قدرة العبد الحادثة للفعل مع قدرة الله تعالى من غير صحة إنفراد أو تأثير لهذه القدرة الحادثة والكسب بهذا المعنى الذى ذهب إليه الأشاعرة لا يحل المشكلة بل يفضى

إلى الجبر طالما الإنسان يفعل بقدرة الله وإرادته ومشيئته وأن العبد يفعل الطاعة بتوفيق من الله ، ويفعل المعصية بخذلان من الله وأنه لا تأثير لقدرة العبد الحادثة - فماذا للعبد إذن - لاشك أن هذا القول سيفضى إلى الجبر.

## موقف إبن عطية من القضاء والقدر

وبعد أن أشرنا إلى آراء بعض الفرق حول مسألة القضاء والقدر ، فما هو موقف إبن عطية من هذه المسألة ؟

يذهب إبن عطية إلى أن كل شئ مخلوق فهو مخلوق بقدر من الله عز وجل سبق به علمه وإرادته . ويتضح ذلك عند تفسيره للآيات التى تعرضت لمسألة القضاء والقدر ، فنراه على سبيل المثال عند تفسيره لقول الله تعالى « قل كل من عند الله »[1] . **يقول** : إعلام من الله تعالى أن الخير والشر والحسنة والسئية خلق له ومن عنده ، لا رب غيره ولا خالق ولا مخترع سواه .

**فالمعنى** : قل يا محمد لهؤلاء : ليس الأمر كما زعمتم من عندى ولا من عند غيرى بل هو كله من عند الله . قال قتادة : النعم والمصائب من عند الله ، قال ابن زيد : النصر والعزيمة ، قال ابن عباس السيئة والحسنة [2].

ومما يدل على أن إبن عطية يذهب مذهب الأشاعرة فى القول بأن كل شئ مخلوق لله تعالى وليس للعبد فيه دخل إلا الكسب وما ورد عنه عند تفسيره لقول الحق جل

---

(١)النساء : آية ٧٨ .

(٢)المحرر الوجيز جـ ٢ ص ٨١ .

وعلا « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »[1]

حيث يقول : هذه المخاطبة للمؤمنين أعلم الله بها أن القتلة من المؤمنين ليس هم مستبدين بالقتل لأن القتل بالإقدار عليه والخلق و الإختراع فى جميع حالات القاتل إنما هى لله تعالى ليس للقاتل فيها شئ ، وإنما يشاركه بتكسبه وقصده ، وهذه الألفاظ ترد على من يقول بأن أفعال العباد خلق لهم ، وسبب هذه الآية فيما روى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل فقال قتلت كذا وفعلت كذا فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت الآية[2] .

نلحظ مما سبق أن ابن عطية يقول بالكسب الأشعرى ، ومما يؤيد ذلك أيضا ما جاء فى تفسيره لقول الله تعالى( ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله )[3] حيث يقول : نفى أن يكون منزلاً كما ادعوا ، وهو من عند الله بالخلق والإختراع والإيجاد ومنهم بالتكسب ولم تعن الآية إلا لمعنى التنزيل فبطل تعلق القدرية بظاهر قوله : « وما هو من عند الله »[4] .

---

(١) الأنفال : آية ١٧.

(٢) المحرر الوجيز جـ ٢ ص ٥١١ .

(٣) آل عمران : آية ٧٨ .

(٤) المحرر الوجيز جـ ١ ص ٤٦١ .

ويستطرد ابن عطية فى هذه المسألة فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى : ( إنا كل شئ خلقناه بقـدر )[1] ، واختـلف الناس فى قـوله تعـالى :( إنا كل شئ خلقناه بقدر ) فقرأ جمهور الناس : ( إنا كلَّ ) بالنصب ، والمعنى : خلقنا كل شئ خلقناه بقـدر ، وليـست ( خلقناه ) فى مـوضع الصـفـة لشئ ، بل هو فـعل دال على الفعل المضمر وهذا دليل العقل على أنه ليس بمخلوق كالقرآن والصفات . وقرأ أبو السمال ورجحه أبو الفتح ( إنا كلُّ ) بالرفع على الإبتداء والخبر ( خلقناه بقدر) قـال أبو حـاتم : هذا هو الوجه فى العربية ، وقراءتنا بالنصب مع جمـاعة ، وقرأها قوم من أهل السنة بالرفع، والمعنى عندهم على نحو مـا عند الأولى أن كل شئ فهو مخلوق بقدر سابق و ( خلقناه ) على هذا ليست صفة لشئ وهذا مذهب أهل السنة ولهم احتجاج قوى بالآية على هذين القولين .[2]

## الإحتجاج بالقدر

وعلى هذا فقد ذهب ابن عطية إلى منع الإحتجاج بالقدر إذا كان فيه إبطال لشرع الله أو إشراك به سبحانه ، فهو يقول عند تفسيره قول الله عزوجل ( سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا )[3] وأخبر الله عز وجل نبيه عليه السلام إن المشركين سيحتجون لصواب ما هم عليه من شركهم وتدينهم بتحريم تلك الأشياء

(١) سورة القمر : آية ٤٩ .

(٢) المحرر الوجيز جـ ٥ ص ٢٢١ .

(٣) الأنعام : ١٤٨ .

بإمهال الله تعالى وتقريره ما لهم وأنه لوشاء غير ذلك لما تركهم على تلك الحال وبين سبحانه أن المشركين لا حجة لهم فيما ذكروه لأنا نحن نقول : إن الله عز وجل لو شاء ما أشركوا ولكنه عز وجل شاء إشراكهم وأقدرهم على إكتساب الإشراك والمعاصي ومحبته والإشتغال به ثم علق العقاب والثواب على تلك الأشياء والإكتسابات ، وهو الذى تقتضيه ظواهر القرآن فى قوله :

( جزاء بما كانوا يكسبون )[١] ونحو ذلك ويلزمهم على إحتجاجهم أن تكون كل طريقة وكل نحلة صواباً ، إذ كلها لو شاء الله لم تكن[٢] .

## المبحث الخامس

## أفعال العباد

لقد تعددت المذاهب حول أفعال العباد هل هى من الله عز وجل ، ولا تأثير فيها لقدرة العبد ، أو أن للعبد فيها دخل فيؤثر فيها فعلاً أو تركاً .

لقد اختلفت الآراء وتعددت فما هو موقف ابن عطية من هذه المسألة ؟

---

(١) التوبة : ٨٢ - ٩٥ .

(٢) المحرر الوجيز حـ ٢ ص ٣٥٩

## رفض ابن عطية لفكرة الجبر

يرفض ابن عطية فكرة الجبر فنجده عند تفسير قوله تعالى فى نهاية فاتحة الكتاب ( ولا الضآلين ) يقول : وليس فى العبارة بـ ( الضآلين ) تعلق للقدرية فى أنهم أضلوا أنفسهم لأن هذا إنما هو كقولهم تهدم الجدار وتحركت الشجرة والهادم والمحرك غيرهما ، وكذلك النصارى خلق الله الضلال فيهم وضلوا هم بتكسبهم [1] .

ويستطرد ابن عطية فى رفضه لفكرة الجبر المطلق فيقول عند تفسيره لقول الحق سبحانه ( لها ما كسبت ولكم ما كسبتم )[2] . لأن كل نفس ( لها ما كسبت ) من خير وشر فخيرهم لا ينفعكم إن كسبتم شراً ، وفى هذه الآية رد على الجبرية القائلين لا اكتساب للعبد.[3]

## موقف ابن عطية من القدرية والمعتزلة

يرفض ابن عطية الرأى القائل بأن العبد خالق لأفعال نفسه فنجده عند تفسير قول الله عز وجل ( وما تشاءون إلا أن يشاء الله )[4] يقول : هذا نفى لقدرتهم على الإختراع وإيجاد المعانى فى نفوسهم ولا يرد هذا وجود ما لهم من الإكتساب والميل

---

(١) المحرر الوجيز حـ ١ ص ٧٨ .

(٢) البقرة : ١٣٤ .

(٣) المحرر الوجيز حـ ١ ص ٢١٤ .

(٤) الإنسان : ٣٠ .

إلى الكفر[1] .

**رأى الأشاعرة**

لقد أشرنا من قبل إلى ذكر ابن عطية لرأى الأشاعرة فى أفعال العباد عند حديثنا عن القضاء والقدر وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى ( ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله )[2] ، وقوله تعالى ( فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم.... )[3] . ورأينا أن ابن عطية يقول بالكسب الأشعرى ، ويقوم ابن عطية بتعريف الكسب بأنه هو القصد إلى الفعل وذلك عند تفسيره لقوله تعالى

( لايؤاخذكم باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم )[4] .

فيقول : « فكسب المرء ما قصده ونواه »[5] .

ثم يسوق ابن عطية بعد ذلك رأى أهل السنة فى أفعال العباد وذلك عند تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى ( والله خلقكم وما تعملون )[6] فنجده يقول : فمذهب

---

(١) المحرر الوجيز حـ ٥ ص ٤١٥ .

(٢) آل عمران : ٧٨ .

(٣) الأنفال : ١٧ .

(٤) البقرة : ٢٢٥ .

(٥) المحرر الوجيز حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٦) الصافات : ٢١٦ .

جماعة من المفسرين أن ( ما ) مصدرية والمعنى أن الله خلقكم وأعمالكم ، وهذه الآية عندهم قاعدة فى خلق أفعال العباد وذلك موافق لمذهب أهل السنة فى ذلك وقال ( ما ) بمعنى الذى ، وقالت فرقة : ( ما ) استفهام ، وقالت فرقة « هى » نفى بمعنى وأنتم لا تعلمون شيئاً فى وقت خلقكم ولا قبله ولا تقدرون على شئ .

ثم يرى ابن عطية أن المعتزلة مضطرة إلى الزوال عن أن تجعل ( ما ) مصدرية .

وهكذا فقد انتهينا من هذا البحث في جانب
الإلهيات وسوف نتبعه إن شاء الله ببحث آخر
حول النبوات والسمعيات .
راجين الله عز وجل أن نكون قد وفقنا في عرض
الجانب العقدي في تفسير
القاضي أبي محمد عبد الحق ابن غالب ابن
عطية الأندلسي .
وأن ينفع به الإسلام والمسلمين
وأن يجعله في سجل حسناتنا .
والله من وراء القصد
إنه سبحانه
نعم المولى ونعم النصير .
وصلى الله على سيدنامحمد
وصحبه وسلم .

د/ إبراهيم عبد الله الحصري

رقم الايداع
٩٤ / ٧٣٦٠
I. S. B. N
977 - 00 - 7308 - 3
**مكتب الأشول للطباعة**
٢٣ ش الشيخة صباح بطنطا